مع تحقيق كتب التراث

للدكتور أحمد سعيدان
(عضو المجمع)

تحت عنوان « مع تحقيق كتب التراث » . كتب الدكتور ابرهيم السامرائي ، في العدد المزدوج ١١ ، ١٢ ، من مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، بحثا أشار فيه الى بعض أسس التحقيق . فذكرني ذلك بأمر كادت تنسيني اياه الأيام ؛ ذلك أن مشروع منهاج لتحقيق كتب التراث قد وضع ، في ندوة عقدت في بغداد ، من ٢٠ الى ١٩٨٠/٥/٢٩ ، بدعوة من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (معهد المخطوطات العربية) بالتعاون مع وزارة الثقافة والاعلام في الجمهورية العراقية . وقد ضمت الندوة نفرا ممن تمرسوا بتحقيق كتب اللغة والدين والتاريخ والعلوم ، كل في ميدان تخصصه . وكنت فيهم المثل الوحيد لمحققي كتب العلوم ؛ ولكن كان الى جانبي بحث قيّم بعثه للندوة الدكتور سلمان قطايه ، استاذ الطب في جامعة حلب .

كان بين ايدينا ستة بحوث حول تحقيق التراث أُعدّت للندوة بتكليف من معهد المخطوطات العربية ، هي :

١ ــ التراث العربي ومناهج تحقيقه ــ بقلم الدكتور احمد سليم سعيدان.

٢ ــ ضبط النص والتعليق عليه ــ بقلم الدكتور بشارة عواد .

٣ ــ التخريج في التحقيق ، مع ملحق بعنوان : التعريف بنص مغمور في التحقيق الخ ــ بقلم الدكتور حسين علي محفوظ .

٤ ــ علم تحقيق الوثائق ــ بقلم الاستاذ سالم عبود الالوسي .

٥ ــ حول تحقيق المخطوطات الطبية ونشرها ــ بقلم الدكتور سلمان قطايه .

٦ ــ التراث العربي ــ خطة ومنهج ــ بقلم الدكتور شكري فيصل .

★ ★ ★

انسجاما مع هذه البحوث الستة راينا ان نمضي في رسم مشروع المنهج من منطلقات اربعة هي :

١ ــ منطلق التقدير للفكر العربي الاسلامي ، والابداع الذي حققه ، في مختلف مجالات المعرفة ، من لغة وادب وعلوم وفن وفلسفة . فان يكن العالم ، لاسباب لا تخفى ، لا يولي هذا الفكر التقدير الذي يستحقه ، فان واجبنا نحن ، العرب والمسلمين ، الاضطلاع بنشر الفكر العربي الاسلامي على العالم وتبيان دوره في بناء صرح الحضارة الانسانية ، احقاقا للحق ، واظهارا للحقيقة .

٢ ــ منطلق الايمان بقدرة الأمة العربية والأمم الاسلامية على بناء مستقبل امثل ، يمكنها من استئناف مسيرتها الحضارية كيما تعود ، كما كانت في عصورها الزاهرة ، قادرة مبدعة .

٣ ــ منطلق الثقة بأن التراث العربي الاسلامي هو قوة دافعة تبعث فينا قدراتنا الكافية المبدعة وتستجيش قوانا لمواكبة الحضارة المعاصرة ، والمساهمة في رفد تيار الفكر العالمي ، بروافد خصبة معطاءة .

٤ ــ منطلق اليقين بأن اهتمامنا بتراثنا الفكري انما هو نظرة من يتعرف موطىء قدمه في سبيل احكام خطاه الى الأمام . ان المستقبل لا يمكن ان ينفصل عن الماضي ، والتجربة الحضارية التي مرت بها الامة

العربية طوال عصورها تجربة غنيـــة بالدروس والعبر ، زاخرة بحوافز تسند تطلعاتنا للحاضر والمستقبل . وان معرفتنـــا لتراثنا كفيلة بأن تبين مواطن القوة والضعف في بنيتنا الذهنية ؛ وهذا مما لا مناص من معرفته كي نحكـــم رسم خطتنا لبناء المستقبل الذي ننشده . وهذا يقتضي أن يكون تقييم التراث موضوعيا ، مجردا عن التباهي الأجوف والتضليل . بذا نضمن ان يكون تحقيق التراث سُلّما للمعاصرة والابداع الذاتي ، شأنه في ذلك شأن التزود بالعلم المعاصر والتكنولوجيـــة الحديثـــة .

ثم استعرضنا الجهود التي بذلت وتبذل ، لتحقيق التراث ، في الوطن العربي وخارجه ؛ فلاحظنا اننا رغـــم تقديرنا لهذه الجهود ، ومدى مـــا قدّمت في تمهيد السبيل لدراسات أوفى وأشمل وأعمق ، نراها **أولا** ما تزال بطيئة محدودة ، بالقياس الى تراثنا الضخم ، **وثانيا** بحاجة الى تنسيـــق ومنهجية واضحة تجعلهـــا تمضي متكاملة ، موحدة ، بعيدة عن التشتت وتباين المواقف ، وحسب خطة مرسومة تأخذ الاولويات بعين الاعتبار ؛ كما لاحظنا ايضا أن معظم هـــذه الجهود تنصبّ على التراث الادبي ، وقليل منها مـــا يتناول المخطوطات العلمية .

لهذا رأينا أن تحقيق التراث ينبغي أن تشرف عليه جهات أمينة ، وان يتناوله القادرون عليـــه ، ولا يتطاول اليـــه من لم تكتمل آداته اللغوية والعلمية والفنية . لذلك تقدمنا بالتوصيتين التاليتين :

١ ــ ان تُدَرَّس مادة تحقيق المخطوطات في جامعاتنا ، ولطلاب الدراسات العليا بخاصة ، في الكليات الادبية والعلمية ، بغية تخريج متخصصين في التحقيق ، مؤهليـــن له .

٢ ــ ان تنشأ في الجامعات والمجامع العربية فروع لمعهد المخطوطات العربية تودع فيها نسخ من الافلام المصورة المحفوظة في مقر المعهد ؛ على ان تُطَوَّر هذه الفروع حتى تغدو مراكز للبحث والتحقيق والنشر ، في مجالات متخصصة ، ان امكن ، مع بذل المكافآت التشجيعية السخية للباحثين والمحققين ؛ على ان تخضع اعمال المبتدئين بالتحقيق الى رقابة المسؤولين في هذه المراكز .

وبهذا الصدد اطلعنا ، بتقدير واعجاب ، على موقف القطر العراقي الشقيق ، من تشجيع التحقيق؛ اذ جعل التراث العربي اساسا لبناء الانسان العربي المعاصر ، واقامة حياة فكرية اصيلة ، تمضي بخطى حثيثة في سبيل الابداع الذاتي ، كما تشهد بذلك منشورات الجامعات العراقية، والمجمع العلمي العراقي ، ووزارة الثقافة والاعلام . ولا عجب ، فمن العراق بدأت شعلة الفكر العربي الأولى ، من ايام الخليفة المنصور ؛ وفي البصرة والكوفة وُضعت اسس الدراسات اللغوية العربية . وها هو العراق اليوم يستأنف مسيرة الخير ؛ سدَّد الله خطاه ، وحيّاه .

بعد هذا ، انتقلنا الى وضع مشروع المنهاج الذي اجتمعنا من اجله ؛ ولكي يكون المشروع كاملا متكاملا ، قسمنا البحث الى مراحل هي :

١ ــ اختيار المخطوط للتحقيق .
٢ ــ جمع النسخ الباقية منه .
٣ ــ دراسة النسخ وتعرُّف مراتبها من الصحة .
٤ ــ ضبط النص .
٥ ــ التعليق على النص .
٦ ــ مقدمة المحقق .
٧ ــ الفهارس .

٨ ــ الطباعـــة والنشـــر .

١ ــ اختيار المخطوط

لاحظنا ان تحقيق التراث في جملته لم يخضع سابقا لمنهـــج مرسوم للاختيار ، وانمـــا هو يتم صدفة ، او حسب الظروف ؛ فكان ان نُشِر ما كان حقه التأخير ، وأُخِّر ما كان حقه التقديم ؛ ولاحظنا ان مخطوطات حُقِّقت ونُشِرت أكثر مـــن مرة ، من غير مسوِّغ لذلك ؛ هـــذا بالاضافة الـــى تحقيقات اساءت للمخطوطات ، جهلا بأصول التحقيق ، او تهاونا بالامانة العلمية واحترام النص . ولهذا كلّه أُقِرَّت التوصيات التالية بصدد اختيار المخطـــوط للتحقيـــق :

١ ــ تقديم الأهم على المهم ، والأصول على الفروع والمختصرات ، وتقديم ما لم يُنشر على اعادة ما نشر ؛ الا اذا لم يراعَ في تحقيق ما نشر قواعد التحقيق والنشر ، أو كشف النقاب عـــن نسخ جديدة لِمـــا نُشر تقتضي تصحيحا فـــي النص .

٢ ــ يناط بمعهد المخطوطات العربية اختيار مجموعات من المخطوطات الأصول التي يرى المختصون ضرورة تحقيقها ونشرها ؛ فيُجْمَـــع نسخها ويُوزَّعها على مراكز التحقيق المعنية ، تيسيرا للمحققين .

٣ ــ يولى التراث العلمي عناية خاصة ؛ ونحبِّذ ان ينشأ له مركز في قُطر عربي ، له فروع في الاقطار الاخرى التي يتوافر فيهـــا محققون علميون ، وان يتفرغ للتحقيق علماء قادرون عليه ؛ علـــى ان تهيأ لهم اسباب التفرغ ، مادة ومعنى .

٢ ــ معرفة نسخ المخطوط وجمعها :

كثيرا ما يتعذر على الباحث والمحقق الحصول على صور من النسخ الموجودة للمخطوط الذي يتم اختياره للتحقيق ، لذا رأينا ان على معهد المخطوطات ان ينهض بالامور الآتية :

ا ــ ان يتعرف مظانّ المخطوطات القيمة في البلاد التي لم يصل بها اسبابه بعد ، وان يتخذ الوسائل التي تضمن الحصول على نسخ من هذه المخطوطات .

ب ــ ان يضع فهارس تفصيلية تعرّف بالمخطوطات التي يظفر بها ؛ وينشر هذه الفهارس على مراكز التحقيق المعنية .

جـ ــ ان يضع فهرسا موحدا ، شاملا لما دُوِّن في فهارس المكتبات العامة والخاصة ، بدءا بالموضوعات العلمية ؛ ثم يليها ما هو الزم من الموضوعات الاخرى ؛ على أن يعهد بوضع هذا الفهرس الى لجان متخصصة ، متفرغة .

فالى أن يتم هذا في معهد المخطوطات ، لا مندوحة للباحث من الرجوع الى مؤلفات سزكين أو بروكلمان للتعرف على النسخ المتوافرة من المخطوط ، ثم يحاول الحصول عليها ، عن طريق معهد المخطوطات ان امكن .

٣ ــ دراسة النسخ وتعرُّف مراتبها من الصحة :

بعد الحصول على نسخ المخطوط ، تأتي المرحلة الاولى من التحقيق ، وهي دراسة النسخ ، لتحديد النسخة « الأم » او ما هي في منزلتها ، لاعتمادها أصلا في التحقيق ؛ ثم تعرف النسخ الاخرى وتصنيفها ، وتحديد مراتبها من الصحة والتوثيق . وذلك وفق القواعد الاتية :

١ ــ الأصل ان تكون النسخة الام هي النسخة التي كتبها المؤلف نفسه ، ان وُجدت ، او أملاها . ولكن المؤلف كثيرا ما يعاود كتابة النص ، فيغيّر فيه ؛ فيتعين على المحقق أن يتبين ذلك . فان لم تصل الينا نسخة كتبها المؤلف . فالأمّ نسخةٌ عليها خطه ، والاّ فنسخة كُتبت عن نسخة المؤلف وعورضت بها ، والاّ فنسخة كُتبت عن نسخة وثّقها المؤلف .

٢ ــ ان لم يعثر المحقق على نسخة مما سبق ، فأفضل النسخ الباقية نسخة كتبها عالم متقن ضابط . فان لم تتوفر ، فعلى المحقق ان يستفيد مما تجمع لديه من النسخ ، وكثيرا ما يكون اقدمها اقربها من نص المؤلف ، واقلها سهوا او اخطاء . ولكن الأقدم كثيرا ما نجده قد تعرّض للتلف . ولأن اول مهام المحقق تقديم النص الذي كتبه المؤلف او املاه ، فعليه ان يحصل على ما يرجح انه هو النص بمقارنة هذه النسخ ، وسدّ ما في النسخة المعتمدة من نقص ، مما في سواها . ودراسة النسخ تهدف الى امرين : اولهما تحقيق نسبة النص الى صاحبه ، والثاني تحقيق أن النص الذي بين يدي المحقق هو نص المؤلف .

ويتحقق ذلك من درس النسخ ونصوصها ، ومن الكتب التي نقلت عن النص ، ان وجدت ، ومما قاله عنه من ترجموا للمؤلف او كتبوا عنه .

٤ ــ ضبط النص

بعد الحصول على ما يراه المحقق اقرب لان يكون نص المؤلف ، وتوثيقه ، بمقارنته بما نُقل عنه او قيل فيه ، يأتي دور ضبط النص . ويجري ذلك حسب الخطوات التالية :

ـ يبدأ التحقيق بنسخ المخطوط . وينصح المحقق بأن يتولى النسخ بنفسه ؛ اذ يتيح لـــه ذلك التهدي الى مشكلات النص وحلولها .

وعلى المحقق ان يلتزم قواعد الكتابة المتفق عليها قديما ، الا في اشياء درج عليهـــا المعاصرون ؛ مثل كتابة « مئة » و « الحارث » و « اسحاق » ؛ ونقط الياء المتطرفة ، للتفريق بينها وبين الالف المقصورة ،

وعليه ان يدوّن في المقدمة ما درج عليه كاتب النسخة من رسم في الكتابة مميـــز ، مع ذكر امثلـــة ، ولا سيما مما غاير فيه الناسخ .

ب ـ ونوصي المحقق بما يأتـــي :

١ ـ كتابة النص بحسب معانيه ، فتقف الكتابة عند انتهاء المعنى ، ويبدأ سطـــر جديد .

٢ ـ استعمال النقط والفواصل والخطوط وعلامات التنصيص والتعجب والاستفهام والاقواس ، وغير ذلك مما يساعد القارىء على القراءة بتفهم .

٣ ـ شكل الكلمات التي قـــد تلتبس علـــى القارىء .

٤ ـ كتابة ارقام صفحات النسخـــة المعتمدة في صلب النص ، بين حاصرتين او قوسين ، مشيرا للمقابلة .

٥ ـ ترقيم الاسطر ترقيما خماسيا تسهيلا للمراجعة .

٦ ـ استعمال الاقواس المزهرة لآيات القرآن الكريم ، وتويسات للأحاديث النبوية والنقول واسماء الكتب ، وما شابهها .

٧ ــ وضع ما يستدركه المحقق على النص بين حواصر متميزة أو معكوفـــات .

جـ ــ الضبـــط

يتعين على المحقق أن يشكل من الالفاظ ما أشكل ؛ هـذا بالاضافة الى الآيات القرآنية ، والاحاديث النبويـة ، والأمثال والشواهد والمشتبه من الاعلام ، والغريب من الالفاظ ، وما قـد يتبهم أو يلتبس من المصطلحات ؛ مستعينا بالمراجع المتخصصة ، والمصادر الموثـوق بها .

هـ ــ التعليـق علـى النص

على المحقق اتباع ما يأتـي :

ا ــ اثبات فروق النسخ ، مع ترجيح ما يراه الأصح ، وتعليل ترجيحه . ولكن يراعى تجنب الاغراق في ذكر ما لا يفيد ذكره من الفـروق . ويراعى ايضا التنبيه على ما يُحتَمِل من النصوص قراءتين أو أكثر ، مع التعليل عند الترجيح ، موثقا بالدليل .

ب ــ التعريفات : يُعرِّف المحقق ، من الاعلام والمواضع وما في حكمها ، ما يحتاج الى تعريف ، من غير استقصاء ولا اغراق ؟ فلا يُعرِّف ما هو معروف لدى أكثر المتخصصين .

ويُستَحسَن احيانا تزويد المقدمة بخارطة تبين مواقع المواضع التي تـرد في النص .

ويُدوَّن في الحاشية اسم الكتـاب موجزا ، مع ذكر الجزء والصفحة . ويحال ما يتعلق بالمعاجم المرتبة على الحروف ، على

المادة ، لا على الأجزاء والصفحات ، ما عـــدا معاجم المعاني ، ومـــا شابههـــا .

ج ــ التخريـــــج :

الهدف من التخريـــج التوثيق والتصحيح . ولذا يقتصر[١٥٦] في التخريج على ما يحقق هذين الهدفين .

ويكون التخريج في الآيات والاحاديث والشعر ، والنقـول بكافـــــة .

ويوصى المحقق بتوثيق مواطن النقول في النص ، ضبطا او تكملة ، واثباتا للخلاف في الرواية ، حيث يكون ذلك مفيدا .

اما في الآيات الكريمة فيُذكر اسم السورة ورقم الآية . وفي الاحاديث النبوية الشريفة يكتفى بالتعليـــق عليها بما يفيد اظهار درجة الحديث وتحديد مرتبته ، استنادا الى المصادر الموثوق بها .

واما الشعر فيُرد[١٥٧] الى موضعه من الديوان ، ان كان مطبوعا ، والا تعيّن ذكر المصادر المعروفة التي اوردته ، وذلك حين يكون هذا الشعر يحتج به في متن اللغة ، أو يستشهد به في علوم العربية واما النقول فيشار الى مواضعها ما امكن .

واما الافكار العلمية فيشار الى موضعها في السلّـــم الحضارية ومدى تأثرها بما سبق، وتأثيرها فيما لحق .

د ــ التنبيه على الأوهام

كثيرا ما يخالط عمل أي مؤلف بعض الأوهام . فاذا وقع المحقق على وهم من هذه الأوهام ، وجب التنبيه عليه ، مع التروّي ، والتزام جانب الحذر والتحقق . فلا يُتَعَجَّل في امور لها ما يجوِّزها ، او حالات لها ما يبررها ، او طُرَف ترد مورد الهزل لا الجد .

ويكون موضع التنبيه في الحاشية ؛ ويثبت المحقق في المتن الوجه الصحيح الذي اطمأن اليه ، الا ان يخالطه شيء من التردد ، او يغلبه جلال مكانة المؤلف عنده ؛ فحينذاك يترك المتن كما أورده الناسخ ، ويقترح التنبيه في الحاشية .

٦ ــ مقدمة المحقق

يضع المحقق مقدمة للكتاب يراعي فيها ما يأتي :

١ ــ تعريف المؤلف المشهور تعريفا موجزا ؛ على أن نذكر لمن يريد التفصيل اهم المصادر التي تترجم له . اما من لم يُعْنَ احد بالكتابة التفصيلية عنه ، فيأتي المحقق بترجمة تفصيلية له .

٢ ــ وصف موضوع الكتاب ، وما كتب في فنه ، ومكانته بين هذه الكتب .

والكتب العلمية يصعب على غير المختص تفهُّم نصوصها ، لذا فعلى محقق الكتاب العلمي واجب تلخيص مادة النص ، في المقدمة ، بلغة العصر ، حتى يعرف فحوى الكتاب المحقق من لم يهيأ لدراسة النص مباشرة .

٣ ــ شرح منهج الكتاب ، فصوله وابوابه ومحتوياتها .

٤ ــ وصف نسخ الكتاب ، والنسخة المعتمدة ، وبيان مواضعها في المكتبات ، وما دُوِّن عليها من وقفيات وتملكات وسماعات ، ونحو ذلك .

٥ ــ اية امور اخرى يرى المحقق اضافتها حول اسلوب المؤلف ودقة الناسخ ووضوح الخط وما شاكلها .

٧ ــ الفهارس

ينبغي فهرسة كل ما يمكن ان يفهرس في الكتاب المحقق : الآيات الكريمة ، والاحاديث الشريفة ، والامثال ، والاعلام ، والكتب التي ذكرها المؤلف او اخذ عنها ، والكتب التي رجع اليها المحقق في التحقيق ؛ مع ثبت بالمصطلحات العلمية والفنية الواردة في النص ، وتعريفها .

ويراعى في فهارس الاعلام ما يأتي :

يبدأ فهرس الاعلام بالاسماء المبدوءة بالفاظ ابن ، ثم ابنة ، ثم ابو ، ثم أم ، ثم بنت . ولا تذكر هنا الصفحات ، اذا كانت الاسماء معروفة ، وانما يحال على الاسم في موضعه من تتالي الحروف الهجائية . فالعَلَم « ابو اليمن الكندي » يذكر في « ابو اليمن » ويذكر اسمه الى جانبه : « زيد بن الحسن » ، ويحال عليه . أما أرقام الصفحات فتذكر في حرف الزاي ، مقابل « زيد بن الحسن » .

ثم تبدأ فهرسة الاسماء حسب ترتيب حروف الهجاء ، بدءا بالهمزة الممدودة ، مثل آدم ، ثم ما يكون بعد ذلك ، والالفاظ التي تداخلها الهمزة يراعى في موضعها الحرف الذي توضع عليه الهمزة .

وفي فهارس المصادر يُذْكَر اسم الكتاب كاملا ، واسم مؤلفه ومحققه او مترجمه ، ثم مكان الطبع وتاريخه ، الهجري او الميلادي ، بحسب ما دُوِّن على الكتاب . اما المصادر الاجنبية فيجري تدوينها على النظام الاجنبي .

ولا مكان في الفهارس لالقاب التكريم والالقاب العلمية .

٨ ـ الطباعة والنشر

ينبغي الانتفاع بأساليب الطباعة الحديثة،شرط تطويعها للحرف العربي بما يضمن المحافظة على اصالته وجماله ، وبما يحقق احتمالـه للشكل في موضعه المناسب من الحروف ، دون ابهام او ايهام .

★ ★ ★

هذه خلاصة المشروع كما اتفقنا عليه ، وان في البحوث الستة التي قُدِّمَت للندوة لأفكارا قيمة لم يتناولها المشروع؛فعسى ان يقوم اصحابها بنشر بحوثهم كي يطلع عليها من يعنيهم الامر .

احمد سليم سعيدان